مسامرة إذاعية ألقاها العلامة الحاج أحمد سكيرج رحمه ا   على أمواج إذاعة راديو المغرب، تحت عنوان : العلوم والصنائع والموازنة بينهما لطالبي الدنيا والدين(1)

بسم الله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله، وعلى كل من والاه، والنصر والتمكين والفتح المبين لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين، أصلح الله به الدنيا والدين.

السلام عليكم أيها السادة المستمعون، لقد دعيت إلى إلقاء كلمة بواسطة هذا المذياع، وقد أسند إلي النظر في اختيار الموضوع الذي أتكلم عليه، فاخترت عنوان : العلوم والصنائع والموازنة بينهما لطالبي الدنيا والدين، وأرجو أن أكون موفقا لما يستحسنه المنصفون، ولا يمل من التحدث به المنتصتون، ولا نريد أن نخوض في بحر علم الحق المنوط بذاته وصفاته، جل شأنا، وعلا سلطانا، كما أننا غير قادرين على الإحاطة بسائر العلوم التي هي متكاثرة الأنواع مع كونها حادثة، فلا نريد أيضا أن نخوض في تيار أمواجها في حصرها بسد العد والإحصاء، فإن مسألة الإحاطة بالعلم لغير الحق سبحانه اختلفت فيها أنظار جماعة من أعلام المتقدمين والمتأخرين، وأفردته بالتأليف فيما يرجع لعلم سيد العالمين بها بين العالمين، فإنه عليه الصلاة والسلام لم يخرج من الدنيا حتى علم علم الأولين والآخرين، فهو محيط بكل ما يسمى علما، ومنهم من يقول بأنه لم يحط بسائر العلوم، وليس عدم حصره لها ومعرفته لكلياتها وجزئياتها بنقص في حقه، بل إنه عليه الصلاة والسلام في مرتبة من المعرفة بالعلوم، في أقصى غاية درجات الترقي فيما يبلغه المخلوق، ولذلك أمر بطلب الزيادة في آية: "وقل رب زدني علما"(2)، وفي تفسير قول الله تعالى : "وللآخرة خير لك من الأولى"(3) بأن كل نظرة أخيرة خير من المتقدمة عليها، وكل إدراك بلغه من العلم في ترقيه الدائم خير له مما قبله، لأنه (ﷺ) له الإحاطة بالعلم من غير توهم مشاركته للحق في العلم، مع أن الخلاف هنا في حال، فلا خوف من حيثية الإحاطة بالعلم الحادث، للفرق بينها وبين الإحاطة بالعلم القديم، والآية الأولى صريحة بتكليفه (ﷺ) بطلب الزيادة في قيد الحياة الدنيوية، لأنها محط التكليف، وما وعد به في كون الآخرة له خير من الأولى غير خاص بالدنيا أو الآخرة بل هو عام فيهما.

وقد صحح المحققون من علماء التوحيد أن النبي (ﷺ) لم يخرج من الدنيا حتى رأى الحق تعالى، ولا نعمة أكبر عليه من الرؤية في الدنيا، ولا يبعد أن تكون آية الأمر بطلب الزيادة من العلم من باب إياك أعني فاسمعي يا جارة، فأمره بذلك، وهو أمر لغيره حتى لا يقف أحد مع ما حصل من العلم، فيدعي الإحاطة مع أن فوق كل ذي علم عليم، وقد قيل :

---

(1) هذه المسامرة السابقة لأوانها، ألقاها العلامة الحاج أحمد سكيرج هادفا من ورائها إلى دمج العلم بالصناعة، وتقوية بعضهما ببعض للنهوض بالاقتصاد الوطني والرفع من مستواه، في وقت وجد فيه الشباب أنفسهم تائهين بين إيجابيات التعليم وسلبياته، فبينما كان البعض منهم ينادي بالحداثة والمعاصرة كشرط لازم في مواكبة المجتمع الجديد، كان البعض الآخر يصر على الاحتفاظ بالمناهج التقليدية، ويرى أنها الكفيلة بالتقدم والإزدهار دون ما عداها، وبهذا كانت هذه المسامرة محاولة جادة للرفع من معنويات الشباب المغربي، وتحفيزه لطلب العلوم بجميع أنواعها الشرعية منها والتقنية، وبذلك يمكن تكوين جيل قادر على تطوير الصناعة الوطنية والسير بها للإمام.

(2) سورة طه، الآية : 114.

(3) سورة الضحى، الآية : 4.

قل للذي يدعي في العلم منزلة علمت شيئا وغابت عنك أشياء

وإذا كانت العلوم الحادثة لا يحصيها أحد، ولا يحصرها بعد، فما بالك بعلم الأحد، جل وعلا، وقد ذكر القطب الشعراني(4) رضي الله عنه في كتابه : إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين، وهو كتاب بديع استنسخناه من مكتبة أبي الإسعاد، صاعقة العلوم والمعارف، الشيخ سيدي عبد الحي الكتاني(5) حفظه الله، وقد اشتمل هذا الكتاب على أربعمائة علم وأحد عشر علما من أمهات العلوم المحمدية، كما أن له تأليفا آخر سماه : تنبيه الأغبياء في نقطة من بحر علوم الأولياء، وقد سرد فيه واحدا وسبعين ألف علم، ولما رأى الهمم قد قصرت رمى بهذا التأليف في بحر النيل، ولا شك أن لكل علم منها اصطلاحا خاصا بأهله، ولا ينبغي لجاهل اصطلاح علم منها أن يعترض على أهل العلم الذي جهله، مثل الجاهل باصطلاح علم النحو مثلا، فإن فرائضه ترتعد إذا سمع إعراب اسم الجلالة من البسملة، ويبادر بتكفير من يقول في إعرابه : الله مجرور، وهكذا الشأن في بعض المقالات الصادرة من الصوفية عند من لا يعرف اصطلاحهم في معنى الاتحاد والحلول وما شاكلها، فإن ذلك كما قال العلامة السيوطي وغيره في اصطلاحهم أنه غير ما يدركه الجاهل بالاصطلاح.

ثم إن العلوم على اختلاف أنواعها تنقسم إلى علم محمود وإلى علم مذموم، وقد ينفع المذموم منها عالمه في بعض الأحيان، كما يتنزل على بعضها قول القائل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

---

(4) الشيخ الكبير، والعارف با الشهير، العالم العلامة الفقيه سيدي عبد الوهاب الشعراني، من ذرية سيدي محمد بن علي بن أبي طالب، المشهور بابن الحنفية، ولد رحمه ا ببلدة قلقشندة بمصر سنة 898هـ وهي قرية جده لأمه، ثم نقل بعد أربعين يوما من مولده إلى قرية أبيه ساقية أبي شعرة، وإليها نسبته، وأدخله والده الكتاب في سن مبكرة من عمره، فحفظ القرآن الكريم، وصرف بعد ذلك همته لتحصيل العلوم، فبلغ فيها الغاية على يد شيوخ أجلاء كبار، كالإمام جلال الدين السيوطي، وشيخ الإسلام زكرياء الأنصاري، وناصر الدين اللقاني وأضرابهم، وأما التصوف فقد أخذه من محله عن نجوم سواطع، كالشيخ سيدي علي الخواص والمرصفي والشناوي وغيرهم. وتآليفه رحمه ا كثيرة في الفقه والحديث والتصوف وغير ذلك من العلوم والفهوم الأخرى. وكانت وفاته رحمه ا سنة 973هـ ودفن بزاويته في باب الشعرية بالقاهرة. أنظر ترجمته في معجم المطبوعات لإليان سركيس 1129-1134 وفي الخطط التوفيقية الجديدة لعلي مبارك : ج 14 ص 109 وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 180. وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 1079 رقم الترجمة 605 وفي شذرات الذهب لابن العماد ج 8 ص 372.

(5) سبق التعريف به في هذا التأليف، ج1 ص 33.

ويدخل هذا في حيز المثل الجاري في اللغة الدارجة بالمغرب : معرفة الأشياء خير من جهلها ولو كانت حراما.

ولاشك أن المقصود من العلم المحمود هو التحصيل على نتيجته بالعمل به، والعلم بلا عمل أولى من الجهل به بدليل إطلاق آية، "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"(6) فالتنويه هنا بصاحب العلم ظاهر في كونه ولو لم يعمل، وقد أشرت إلى هذه النكتة في لاميتي المعنونة بنفع العموم بالمسامرة ببعض العلوم، فقلت في مطلعها

خذ العلوم وإن كسلت عن عمل	فالعلم من أكمل الأوصاف في الرجل
لا يستوي عالم وجاهل أبـــدا	ولـو بلا عمل أحـرى مـع العمـــــل

إلى آخرها، وهي في نحو مائتي بيت، وأشد الناس حرصا على العمل بالعلم هم الصوفية، فعدهم المتساهلون في المزهدين في الإقبال على اقتناء العلوم، مع أن العلم قد ينفع صاحبه ولو طلبه للتحصيل على الدنيا، وقد قال الغزالي رحمه الله في كلام يؤثر عنه : طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم أن لا يكون إلا لله.

ثم إن العلوم منها ما يكون منوطا بالديانة لمجرد التعبد لله بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، والعالم بها ولو فرضنا أنه أحاط بها كلها فهو مثل خزانة كتب لا تحصى، مفتوحة الأبواب أو مغلقتها، والأجر في ذلك عند الله إذا صفت نيته على علمها من جهة وعلى العمل بما علم من جهة أخرى، وقل من تيسرت له الأجرة الدنيوية على تعليمها والإنخراط بسلكها.

وغالب الخائضين في هذه العلوم الدينية إذا لم يسلك مسلك أهل التحلية يكون مبتلى بالعجب بالنفس، فيرى لنفسه استحقاق كل مكرمة وكرامة، وكثير من المغرورين ممن لهم الإلمام بشيء من هذه العلوم الدينية يشمخ بأنفه في العموم، وكأنه يرى أن مفاتيح الجنة بيده لمن قبلها أو وضع في كفها دريهمات، وهو غافل عن كونه ولو احتاج إلى ما يسد به رمقه فإنه لا يسمنه ما لديه من تلك العلوم ولا يغنيه من جوع، فهو في مرتبة العالة على الناس، لأن العلم الذي عنده إنما هو علم ديني لا يتوصل به صاحبه لأغراض دنيوية إلا من الباب الذي ذكرناه آنفا.

وكثير من الناس لا غرض لهم بعلوم الديانة. وإذا ساعده الحظ بتعيينه في القيام في وضيف شرعي، فإن الأجرة التي يستخلصها من أجل ذلك فهي من باب ما لا يتأتى لكل أحد، زد على ما في ذلك مما ينوط به فيه هل هو سائغ له أخذه أو لا ؟ مع أنه لو لم يلحظه السعد الذي صادفه لبقي غير موظف، ولا مستخدم مثل كثير ممن علموا أكثر منه وهم غير موظفين.

(6) سورة الزمر، الآية : 9.

فالأولى حينئذ للعالم ولطالب العلم أن يضيف لعلم الديانة علما فأكثر من فنون الصنائع، فيعمل للارتزاق من باب أبوابها، فيستخلص الأجر على ما صنعه، أو الربح فيما تعاطاه من تجارة ونحوها، مع الأمن على نفسه من التعرض للعقوبة الأخروية التي يتعرض لها آخذ الدنيا بما يتعلمه من علوم الدين.

ومادام عالم الدين لا حرفة له فإنه يكون عند غير من موه عليهم بعلمه موسوما بالطمع، وربما يكون في غالب الأحيان عند من يتبركون به ثقيلا عليهم غير منتفع به، ولا نفع للناس إلا بمن قام بما يليق بعمران دنياهم من أهل الحرف والصنائع، وقد قال العلامة المناوي(7) رحمه الله في شرح الجامع الصغير لدى قول النبي (ﷺ) : إن الله يحب العبد المحترف، ما نصه بعد كلام : ومن لم ينفع الناس بحرفة يعملها فإنه يأخذ منافعهم ويضيق عليهم معاشهم، فلا فائدة في حياته لهم، لأنه يكدر الماء ويغلي الأسعار.

ولهذا كان عمر رضي الله عنه إذا نظر إلى ذي سيما سأل عنه أله حرفة ؟ فإذا قيل لا سقط من عينيه، قال ومما يدل على قبح من هذا صنيعه ذم من يأكل ماله بنفسه إسرافا وبدارا، فما حال من أكل مال غيره ولا ينيله عوضا، ولا يرد عليه بدلا، قال العارف بالله سيدي إبراهيم المتبولي(8) : حكم الفقير الذي لا حرفة له كالبومة الساكنة في الخراب ليس فيها نفع لأحد، ولما ظهر المصطفى (ﷺ) بالرسالة لم يأمر أحدا من أصحابه بترك الحرفة إلى آخر كلامه.

وقد تعاطى النبي (ﷺ) حرفة التجارة في مبادئ أمره، ولذلك كانت من أطيب الكسب لمن عمل بعلمه فيها، فهو عليه الصلاة والسلام يقول : إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يطروا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا، وإذا كان لهم لم يعسروا، كما أن الأنبياء عليهم السلام قبله تعاطوا حرفا غير مخلة برفع الهمة، فمنهم من تعاطى حرفة البناء، ومنهم من تعاطى حرفة التجارة، ومنهم من تعاطى صنعة لبوس، فألان له الحق الحديد، وغير هذا من نحو الحراثة والخياطة وما هو من هذا القبيل مما يدخل تحت قول الله : "ولا تنس نصيبك من الدنيا"(9)، وكذلك الصحابة رضوان الله

(7) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي المصري، توفي بالقاهرة عام 1031هـ. له أكثر من ثمانين مصنفا، منها التيسير في شرح الجامع الصغير للسيوطي، وفيض القدير في شرح الجامع الكبير للسيوطي، والكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، وتيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف، والفتوحات السبحانية، وغير ذلك من التآليف الكثيرة، أنظر ترجمته في فهرس الفهارس للكتاني ص 560 رقم الترجمة 319 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 204 وفي الخطط التوفيقية لعلي مبارك ج 16 ص 50 وفي خلاصة الأثر للمحبي ج 2 ص 412-416. وفي معجم المطبوعات لسركيس 1798.

(8) إبراهيم بن علي بن عمر الأنصاري المتبولي، من أعلام الصوفية بمصر، توفي بأسدود بالمنوفية عام 877هـ. وبها دفن، أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 2 ص 83 رقم الترجمة 322 وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 52 وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 1 ص 85.

(9) سورة القصص، الآية : 77.

عليهم، فجلهم أصحاب الحرف إلا ما كان من بعضهم ممن تقاعدوا قيد حياته(ﷺ) عن تعاطيها لأسباب مثل أهل الصفة من فقراء المهاجرين وغيرهم، وقد اقتدى بالصحابة في ذلك جم غفير من علماء السلف والخلف ممن يضيق الوقت عن تعدادهم.

ولنكتف بذكر قضية واحدة في كون علماء الأمة كانوا يضيفون لعلمهم تعاطي حرفة يستخلصون بها أجورا لضرورياتهم من غير اعتمادهم على مجرد كونهم علماء، فإن القاضي عبد الوهاب البغدادي(10) العلامة الشهير كان عارفا بصنعة الصياغة، ولما ضاقت به المعيشة ببغداد خرج منها قاصدا مصر، فخرج لتوديعه نحو مائتي عالم من أرباب الطيالس المعمرين للمدارس والمجالس، فكان مما قال لهم : والله يا أهل بغداد لو وجدت من يتكفل لي برغيفين يوميا ما فارقتكم، فلم يجبه أحد متأسفين على فراقه، ولما وصل إلى مصر فارغ الجيب، قصد محل الصياغين عسى أن يجد أجرة عملية يقوم بها من حرفته، فصادف أمينهم وبيده سوار من عمل بغداد يعرضه على أنظار المعلمين ليصلحوه، وكلهم يقولون هذه صناعة بغدادية، وأيس الأمين المذكور من إصلاحه، فقال له العلامة عبد الوهاب البغدادي وهو في ثيابه المغبرة : إذا أعطيتني أجرة أعمل لك عملية أحسن من هذه الصنعة، لأنني معلم ببغداد، فذهب الأمين به إلى محله، وأحضر له المواعين وما يحتاج إليه، ولما مكنه منه كاد أن يطير عقله فرحا به، وذهب به للأمير وأخبره بأنه حيث لم يجد معلما عمل العملية بنفسه، فشكره على ذلك.

ثم إن صاحبة السوار اقترحت على الأمير بتكليف الأمين بتجديد السوار الثاني، فأمره بذلك فبحث الأمين عن سيدي عبد الوهاب البغدادي فلم يجده، وكان سيدي عبد الوهاب البغدادي قد اشترى بتلك الأجرة لباسا يناسب زي العلماء، واغتسل بالحمام، ودخل للمسجد فانكب عليه العلماء، ولما طال بحث الأمين عليه وجده بالمسجد والعلماء محيطون به، فكبر في عينيه ولم يتجاسر على مفاوضته، فعلم عبد الوهاب البغدادي أنه في حيرة، فأشار إليه، ثم أخبره بما وقع، فجبر خاطره وذهب معه إلى محله، وعمل له عملية الثاني، وكتب في دائرته :

---

(10) عبد الوهاب بن علي بن نصر التغلبي البغدادي، ولد ببغداد عام 362هـ وهو من أكابر فقهاء المالكية بالعراق، رحل إلى مصر فعلت فيها شهرته، وبها توفي عام 422هـ، وله رحمه ا تآليف عديدة في الفقه، منها : عيون المسائل، والتلقين، والنصرة لمذهب مالك، والإشراف على مسائل الخلاف، وشرح المدونة، وشرح فصول الأحكام، وغرر المحاضرة ورؤوس مسائل المناظرة، وغيرها من تصانيفه الكثيرة : وهو صاحب البيتين المشهورين :

بغداد دار لأهـل المال طيبـة   وللمفاليس دار الضنك والضيـق
ظللت حيران أمشي في أزقتها   كأنني مصحف في بيت زنديق

أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 103 رقم الترجمة 266 وفي الآعلام للزركلي ج 4 ص 184 وفي طبقات الفقهاء للشيرازي ص 143 وفي البداية والنهاية لابن كثير ج 12 ص 23 وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج 2 ص 21. وفي شذرات الذهب لابن العماد ج 3 ص 223 وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 775 رقم الترجمة 424 وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 236 رقم الترجمة 554 وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 4 ص 276.

مصائب الدهر كفـي	إن لم تكفي فعفـي
خرجت أطلب رزقا	وجدته قد توفـــي

ودفعه له، فكان ذلك سبب تعرف الأمير به واشتهار أمره.

ولقد كانت همم طلبة العلم عالية عن تعاطي سفاسف الأمور بما يحصلونه من العلوم أو يطلبونها، ويأنفون من أن يقرؤا علما منها لنيل وظيف من الوظائف الشرعية فضلا عن غيرها، فاستحالت صهباء نخوة العلم لسكرة حب التوظيفات المخزنية، مما كاد أن يصير به طلبة العلم لا قصد لهم سوى الإنخراط في سلك الموظفين والمستخدمين بطلب العلم، مما يتشوقون لتحصيله بفتح آذان لسماع فراغ أي منصب بانتقال الموظف فيه بموت ونحوه، فتتقاطر مكاتب طلب التوظيف فيه على الإدارة التي رأت من المصلحة إلزام الطلاب للمبارة فيه، وليس من المتعين على المخزن الشريف توظيف جميع طلبة العلم مما زاحمهم فيه أيضا غيرهم، بما استلفت الأنظار إلى تمكن حب الوظيف ولو بأقل مرتب :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانـوه فهانـوا ودنســـــوا	محياه بالأطمـاع حتى تجهمـــا

فالأولى لطلبة العلم أن يرفعوا مناصبهم برعاية رفعة منصب العلم، ويتعاطوا فنون الصنائع النافعة لهم ولأبناء جنسهم، ويتداركوا ما هم عليه من القصور والتقصير، فمن منهم زاحم المخترعين في اختراع شيء ينفع الأمة، أين منهم من يعمل حتى كأسا من الزجاج أو إبرة خياطة، ونحو هذا مما استقل النفع به الأجانب، فأين نحن من هؤلاء(11).

ولكل صنعة قواعد ومسالك، وأمكنة وأزمنة وغير ذلك، وقد انفتحت في وجوه الطلبة مدارس الصنائع والعلوم والفنون الجمة، مما يحصل لمراعيها في العمل بمقتضاها النتائج المهمة بعد معرفة الحكم الشرعي المنوط بها، للعمل بقاعدة : لا يحل لا مرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله تعالى فيه.

وقد تداخلت الدخلاء في تعاطي الحرف بالغش فيها، وقد كان عمل السلف الصالح على مقاومة الغش بتفويض النظر لصالح المحتسبين الفقهاء بالدين، فكان الأمر على منع كل من لا يعرف شيئا من الخوض فيه، ولا يبيحون تعاطي البيع والشراء إلا لمن يعرف ما يحل من ذلك وما يحرم منه، فكانوا يضربون على يد من لا يميز في المبيعات بين الربويات فضلا عن تعاطي الربا، وقد صار الناس منذ زمان لا يبالون من أين اكتسبوا الأموال، فانقلبت الأحوال بما أشهر التجار فيه الحرب على الحق بتعاطيهم للربا جهارا، كما أشهر طلبة العلم عليه الحرب بمعاداة أوليائه، والله غالب على أمره،

(11) المراد من هذه المسامرة تشجيع الشباب على النهوض بالصناعة الوطنية وتطويرها، لمواكبة التقدم التكنولوجي الكبير الذي وصلت إليه دول كثيرة، كفرنسا وأنجلترا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وهي دعوة صريحة لتوظيف العلم واستخدامه كسلاح جاد في النهوض بالصناعة المغربية والرفع من مستواها المتدهور وقتذاك، وهي نفس الطريقة التي سلكها الأوربيون وغيرهم لإدراك ما أدركوه من تقدم اقتصادي كبير، وأخذ رحمه ا الحرف الصغيرة كنموذج ومنطلق للعمل على ازدهار الصناعة الوطنية ورقيها لمصاف الصناعات المتطورة، كما بين من خلال مسامرته هذه ما للحرف والصنائع من قيمة معنوية ليست في غيرها من الوظائف.

ولولا أن الحق سبحانه قيض لتدارك الأمر في هذا القطر المغربي ملكه المفدى، سلالة المجد الشامخ، سلطاننا المحبوب، سيدي محمد(12) أيده الله لا تسع الخرق على الراقع.
وقد سنح لي أن أختم هذه العجالة بقصيدة كنت استعملتها بمناسبة عقد جمعية أوقاف الحرمين الشريفين لجلستها المنيفة بالأعتاب الشريفة، متعرضا فيها لمدح سلطاننا المعظم، وهي وإن فات إبان إنشادها بين يدي ملكنا المحبوب، فإلقاؤها الآن على هذا المذياع من الأمر المطلوب، ونصها باختصار :

قف هاهنا بتأدب وحياء　　فلمن يحل هنا كمال هناء

فمليكنا مجلى الجمال اليوسفي　　هنا تجلى في جلال بهاء

لله من ملك مراع في رعيته الـ　　ـولاء ولم يكن بمراء

قد أجمعت أهل النهى وذوو العلا　　ء على كمال علاه دون مراء

وبحسن سيرته وطيب سريرة　　ظهرت له منهم جميل مرائي

ملك تربع فوق عرش جدوده　　بكمال الاستحقاق في الكبراء

ورث الخلافة عنهم فانقادت العليا　　له بمجرد الإيماء

جاءته في عز بلا طلب لها　　بعناية حفته دون عناء

في دولة علوية علوية　　بعلوها ظفرت بكل علاء

جازت ثلاث مئين وهي تزيد ما　　لا حصر فيه لطالبي الإحصاء

بمليكنا وبنسله دامت ودا　　م لها السرور بسائر الأنحاء

يتوارثون الملك عنه بطول عمر　　فيه للعمران كل هناء

والله ساق إليه أكبر دولة　　رقت رعاياه على العلياء

العلم هذبها ففاقت في التمدن سائـ　　ـر الحكام والحكماء

والعلم أفضل ما اقتناه أفاضل الأجنا　　س في الضراء والسراء

فيه صلاح الدين والدنيا وما　　في الجهل من خير لدا العقلاء

من رام يصلح قومه فعليه بالتعليـ　　ـم فهو لهم من النصحاء

---

(12) السلطان مولانا محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن العلوي، ملك المملكة المغربية، ولد بفاس عام 1329هـ، وبها وبالرباط تلقى تكوينه العلمي، وبويع له بعد وفاة والده سنة 1346هـ، وله رحمه ا إنجازات كبيرة في حقل التنمية الوطنية بالمغرب، ونظرا لتشبثه بمطالب الحرية والإستقلال لبلاده أقدم الإستعمار الفرنسي على نفيه صحبة عائلته لجزيرة مدغشقر عام 1372 هـ، وبعد ذلك انطلقت بربوع المملكة المغربية ثورة شعبية عارمة أسفرت على إجبار الإستعمار الفرنسي بإعادة السلطان سيدي محمد الخامس من منفاه إلى عرشه، ومنح بلاد المغرب استقلالها سنة 1375هـ-1956م، وتوفي الملك سيدي محمد الخامس عام 1380هـ-1961م أنظر ترجمته في تاريخ المغرب لمحمد بن عبد السلام بن عبود ج 2 ص 146-161-192، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 158.

فالعلم أقرب للصلاح بأهلـــــــه ولو أنهم كانـوا بني غبــراء
ما كان إصلاح بلا علم لمــــــن يبغي ظهور كرامـة الصلحاء
إن علموا الوحش استغلوا نفعــه فضلا عن الإنسان في النبهاء
والجهل يكفيه انحطاطـــا أنــــه لم يرضه أحد من الجهـــلاء
فيزاحم الأعلام في أزيائـهـــــم والعلم ليس يكون بالأزيـــاء
والعلم يرفع قدر مملوك إلـــــى رتب يعد بها من الشــرفـــاء
والعلم في بيت النبوءة زادهـــم شرفا على شرف لدا السعداء
أعلامهم أعلامهم منصـــــــورة منشورة فوق العلا لعـــلاء
ولقد كلفت بحبهم طرا بـمـــــا نالوه من قرب من الزهـــراء
قل للذي يبغي العلو على بني الزهـــــرا ولو بعلومه وسخـــــــاء
لا لا تفوق للعلي من غيرهـــــم عن جاهليهم في سنى وسنــاء
هم خالص الذهب المصفى لم يشب بالنقص عند تحقق الأشيـــاء
آل النبي أجل من وطئ الثـــرى بعد النبي والجلة الخلفـــــاء
هم آله والآل سادات الـــــورى وهم الأمان لأرضنا وسمـــاء
شرف لهم ذاتي وفضل سواهـــم عرضي فما لهم السوى بسواء
لم لا وهم أهل الولاء حقيقـــــة والأولياء لهم من الخدمـــــاء
يزداد حبا فيهم أهل الـــهـــــدى من سائر الصلحاء والعلمـــاء
وأزف بكر الفكر بين ذوي الثنــا لمليكنا وكفى القبول جزائـــي
وكأنني في مدحه أديت واجب مـــــــــدح آل البيت أهل ولائــــــي
إني أغار على المديح وصوغــه في غيرهم بقصيدة غـــــراء
بل لا أرى الموزون والمزدان إلا ما تجلى فيهم بثـــنـــــــاء
ولو أنني استغرقت عمري في الثنا ء عليهم لعجزت بعد عنـــاء
وبمدحهم طاب الغناء لدا السمـــا ع وعن سواهم فيه تم غنـاءي
والشعر يبخس سعره في غيرهـم ومديحهم ما فيه من إطـــراء
ما ضاع شعر فيهم قد قلتـــــه لكن بهم قد ضاع أوج فضائـي
والشعر ما استعصى علي لأنني حسان مدح الآل في قرنـــاء
والشعر ما قد وافق الأذواق في الأدواء والأهوال في الأهواء

ما هو إلا السحر يلعب بالنهى أو ما نموه لسطوة الصهبــــاء

ولكل مفتتن به في قرضـــــــه جن يقال له أخو الشعـــــــراء

كم رمت أهجر قرضه حتى المشيـــب فزاد بي في مدحهم إغرائـــــــي

ورأيت جني خادما لجنابــهـــم يرتاح للإنشاد والإنشـــــــــاء

فعلمت أن الخير لي في مدحهم في حال قربي منهم وثنائــــــي

ولي الهناء إذا هم قبلوا ثنائـــي فيهم وبهم كمال هنائـــــــــــي

والله يبقي في كمال عنايــــــة من فيه تم لنا جميل رجائــــــي

خير الملوك مليكنا وبنيه أولي المــجـــــد بين الناس في الأمـــــــراء

لا سيما منهم ولي العهد قـــرة أعين الأبـنـــــاء والآبـــــاء

كل الرعية تسأل المولى بــأن يرعاه يرفل في رداء رضـــاء

ويزيد مولانا المليك تمتعـــــا بكمال عافية وطول بـــقـــــاء

أحمد سكيرج

أمنه الله